

المؤسسات التعليمية الاستعمارية في الجزائر و مسألة تعليم الجزائريين (1830-1962م)

د. شيخ لعرج

جامعة مصطفى اسطمبولي-معسكر

مقدمة :

كان الاستعمار الفرنسي واعيا لأهمية التعليم في ارساء جذوره بالجزائر منذ احتلالها سنة 1830م. فقد كان حريصا على غرس لغته ، ونشر ثقافته بين السكان لتسهيل اخضاعهم ، ولذلك أولاه العناية الفائقة تزامنا مع استعمال القوة العسكرية ، حتى يكون اطرار محلية تحمل فكرا اوربيا و تحقق أهدافه، وهذه الورقة البحثية تحاول في هذا الاطار التعرض للاهتمام الاستعماري بقضية التعليم ، و انتشار المؤسسات التعليمية عبر كافة مناطق التراب الوطني ، مع التركيز على نصيب الفرد الجزائري من حصص هذا التعليم حتى على مصداقية النوايا الاستعمارية في نقل التمدن و الحضارة الى المجتمع الجزائري، و قد حاولنا تحليل الظاهرة ضمن مجموعة من العناصر بدءا بموقف الاستعمار من التعليم الاسلامي في الجزائر و انتهاء بالقوانين و المؤتمرات المنظمة لهذا التعليم.

1-موقف الإستعمار من التعليم الإسلامي في الجزائر :

رغم كل ما كتب عن العهد العثماني بالجزائر بأقلام إستعمارية، وصفته بالعهد المظلم، وعهد التخلف، وغيرهما من الصفات التي يبررون بها استعمارهم لبلادنا، محاولين إيصال فكرة حمل فرنسا لمشعل المدنية والحضارة إلى الجزائر، إلا أن بعض الفرنسيين أنفسهم، وعلى رأسهم "دوماس" يعترفون بأن التعليم الابتدائي كان أكثر انتشارا في الجزائر قبل الغزو الفرنسي، وكان جل السكان يعرفون القراءة والكتابة، وكان لجميع القبائل معلم مدرسة قبل هذا الإحتلال.¹

ووعيا منه بخطورة التعليم الإسلامي على مستقبل وجوده بالجزائر، وعلى مخططاته الهادفة إلى ضرب الهوية الوطنية، استهدف هجومه الأول المؤسسة التعليمية، بتدمير المدارس والمؤسسات التي يرتبط بها هذا التعليم كالمساجد والزوايا والكتاتيب، ونفي الكثير من العلماء خارج البلاد، وتحويل بعض المساجد إلى كنائس، مثل جامع كتنشاة الذي أصبح سنة 1832 م كنيسة القديس فيليب ، وأخرى إلى ثكنات أو إسطلات أو مخازن، سعيا منه إلى نشر الأمية والجهل، وكرس اللغة الفرنسية كلغة رسمية في التعليم والإدارة. وكان التعليم بالنسبة لهذا الاستعمار أنجع وسيلة لإذابة الجزائريين في الكيان الفرنسي العام، وسلخهم من دينهم ولغتهم ، ومن حضارتهم العربية الإسلامية واجتثاثهم كما وقع لمسلمي الأندلس منذ قرون، أي أنه كان يهدف من وراء التعليم - كما يقول عبد العزيز شهبي - إلى (ربط الجزائر سياسيا وإداريا بفرنسا وهضمها روحيا وثقافيا ولغويا).²

وبمصادرة الأوقاف يكون الاستعمار الفرنسي قد قضى على المؤسسات التعليمية الاسلامية، لأن هذه المؤسسات كانت تحصل على حاجياتها للاستمرار في مهمتها التربوية من موارد هذه الأوقاف، زيادة على التبرعات التي عرف بها الجزائريون .³

وكانت الإدارة الاستعمارية تسعى إلى إقامة مدارس فرنسية تنافس المؤسسات الإسلامية -إن بقي فيها شيء- ظاهرة تعليم (شعب متخلف) ونقل المدنية والحضارة إليه، والقضاء على التعصب الذي (يتصف به) ولكن هدفه الحقيقي ضرب الشخصية الوطنية، ودمج المجتمع الجزائري في المجتمع الفرنسي خدمة للوجود الاستعماري. 4

2-أهم المراحل التي مر بها التعليم الفرنسي في الجزائر :

مر التعليم الفرنسي في الجزائر منذ عام 1830م بعدة محطات نحاول اختصارها في النقاط التالية :

2-1 فترة الحكم العسكري 1830- 1870 :

عرفت تبني تعليم مزدوج في البداية: فرنسي، عربي بغية تحقيق الهدف الإدماجي الذي أشرنا إليه سابقا، وأول مدرسة افتتحت سنة 1833م بالعاصمة، سميت بمدرسة التعليم المتبادل، خصصت لتعليم الأطفال الأوربيين واليهود، ثم ظهر ما يسمى بالتعليم العمومي والذي تدرس فيه: اللغة الفرنسية، الكتابة، الحساب، واللغة العربية. وأول مدرسة تم فتحها في هذا النمط التربوي كانت المدرسة العربية الفرنسية بالعاصمة سنة 1836م وهي خاصة بالذكور ، وفتحت أخرى بعنابة سنة 1837م لمنافسة التعليم العربي الاسلامي بالزوايا، ثم كانت أول مدرسة للبنات في الجزائر العاصمة عام 1845م ، وقد بلغ عدد التلاميذ الجزائريين بهذه المدارس إلى غاية سنة 1844م سبعة مقابل 100 تلميذ أوربي 5 ، وهو ما يعكس نفور الجزائريين من هذه المدارس التي كانوا يرون فيها خطرا على أبنائهم وعقيدتهم، خاصة لما أعطي حق الإشراف على العديد من هذه المدارس للمنصرين الذين كانوا يسعون لتنفيذ مخططاتهم التنصيرية . وكانت كل المدارس الفرنسية في الجزائر تركز فيما تقدمه من دروس على عظمة فرنسا، وعظمة قوتها العسكرية وغناها، بمعنى أن على الأهالي أن يحسوا أن الفرنسيين أقوياء، وتسودهم الروح الإنهازمية حتى يعتبروهم الأسياد الممتازين الذين يعيشون تحتهم في أمان 6 ، ولكن هذا الهدف فشل ولم يتحقق لأن القليل فقط هو من التحق بهذه المدارس، وبقي الجزائريون أوفياء لتعليمهم الإسلامي، حتى ولو اضطروا إلى الابتعاد إلى المناطق النائية، بعيدا عن مراقبة الإستعمار وضغوطاته.

وطيلة فترة الحكم العسكري بالجزائر، تواصل فتح المدارس المشتركة بمعظم المدن الجزائرية وخاصة في المدن الكبرى كوهان، العاصمة، عنابة، و قسنطينة . 7

وكان قرار 06 أوت 1860م قد نص على إنشاء ست مدارس عربية/فرنسية في كل من:

الجزائر العاصمة، وهران، قسنطينة، عنابة، البليدة، مستغانم، يشرف عليها حاملون لشهادة الكفاءة لتعليم اللغة العربية مع مساعدة بعض الجزائريين، ليصل عدد هذه المدارس سنة 1851م الى 223 مدرسة مدعمة من طرف الإدارة الإستعمارية ، ثم جاء مرسوم 1850/09/30م الذي نص على إنشاء المدارس الحكومية الثلاث: تلمسان، قسنطينة، والمدية، وحولت بعد ذلك إلى

العاصمة عام 1859م لإبعاد الجزائريين عن التعليم الإسلامي، و ما يشكله من خطورة على الإستعمار و مخططاته ، وهو ما أكدته دوطوكفيل بنفسه في تقريره الذي ورد فيه "لقد تركنا المدارس تنهار، وشتتنا المحاضر، فانطفأت الأنوار حولنا.. ومعنى ذلك أننا تركنا مجتمع المسلمين في حالة من الجهل والوحشية، أكثر من تلك التي كان عليها قبل أن يتعرف علينا." 8

فبموجب مرسوم 1850/07/14م تم بناء 40 مدرسة ابتدائية في ظرف 24 سنة تقريبا 1850-1873م بمعدل مدرستين في كل سنة.

أغلقت معظمها بعد إنتفاضة المقراني سنة 1871م ثم أغلقت نهائيا عام 1883م أمام ضغط المعمرين الذين كانوا يرون في تعليم الأهالي سلاحا ضد الإستعمار، فقد إتخذوا من هذه الثورة ذريعة لإظهار تدميرهم من السياسة التعليمية، وقاموا بحرق معهد الفنون و الحرف و المدرسة العربية الفرنسية بتييزي وزو. 9

ونحن نتكلم عن خطورة هذا التعليم، وخطورة هذه المؤسسات التي كانت الإدارة الإستعمارية تسابق الزمن لإنشاء المزيد منها في الجزائر، قد يبدو طرحنا لهذه القضية لدى البعض مجانباً للحقيقة، إعتقاداً منهم أن الإستعمار قدم فعلاً بنوايا التمدين، لذلك ولتوضيح هذه النوايا الإستعمارية نورد ما جاء على لسان "فيلمان" رئيس مكتب الشؤون السياسية في باريس سنة 1846م حيث يقول: "إن الداعي لكل هذه الجهود هو إعداد رجال يساعدوننا من خلال نشاطهم مع بني جلدتهم على تغيير المجتمع العربي ، وفق متطلبات حضارتنا. 10

-2-2- فترة الحكم المدني منذ سنة 1871م :

وبمجيء الحكم المدني، تم إلغاء المدارس المشتركة (الفرنسية/العربية)، وبدأ الإهتمام بالمدارس الحكومية العلمانية، خاصة وأن جول فيري لعب دوراً أساسياً في وضع هذا النظام التربوي الجديد إبتداء من سنة 1882م وقد ترسخت لدى الفرنسيين بعد تجربة المدارس المشتركة التي لقيت معارضة شديدة من قبل المعمرين، قبل التفكير في إنشاء هذه المدارس اللائكية الجديدة، فكرة نلخصها في ثلاث نقاط أساسية هي : 11

- الأهالي غير قابلين لأي نمو أو تقدم، وأي مجهود يبذل لتعليمهم مرهون بالفشل . - التعليم المهني هو الوحيد الذي يمكن أن يتناسب مع طبيعة الأهالي. - التعليم الذي يقدم للأهالي بنفس طريقة المدارس الأكاديمية الفرنسية يقود إلى تخرج متمردين وثوار. ووضعوا تصوراً لطبيعة ما يمكن تقديمه من دروس للأهالي، ولو أن هذا المضمون كان يعطى بعضه أيضاً في المدارس المشتركة السابقة، أساس هذا التصور أن الأهالي يؤمنون بفكرة أن الإسلام سيسود العالم وأن (رجل الساعة) سيأتي يوماً لوضع حد لوجودهم المؤقت، ولذلك كما يتصورون، يجب طمس هذا (الخطأ) وأن يوضحوا لهم طبيعة فرنسا كما هي : غنية بزراعتها، مزدهرة بصناعاتها وتجارها، قوية بجيوشها وأساطيلها . 12

قانون 1882/03/28م وإقرار إلزامية التعليم: وتنظيم التعليم في هذه المرحلة الجديدة في ظل الحكم المدني صدر قانون 12 جوان 1881م المتعلق بمجانية التعليم ، ثم بعده قانون 28 مارس 1882م لمتعلق بإلزاميته والذي نظمت مواد التعليم الابتدائي كمايلي: 13

- المادة الأولى: التعليم الابتدائي يشمل: التربية الأخلاقية والمدنية، القراءة، الكتابة، اللغة الفرنسية، تاريخ فرنسا وجغرافيتها، بعض مفاهيم القانون والاقتصاد والسياسة والفيزياء والرياضيات. - المادة الثانية: يوم الراحة: الأحد، يسمح فيه لإعطاء تعليم ديني للأطفال خارج إطار المدرسة. - المادة الرابعة: التعليم الابتدائي إجباري للأطفال الذين تفوق أعمارهم ست سنوات للجنسين.

- المادة السادسة: تمنح شهادة التعليم الابتدائي بعد إجراء إمتحان عمومي إبتداء من 11 سنة

وبذلك أصبح التعليم الذي يخضع له الجزائريون ذا طابع فرنسي، يشرف عليه معلمون فرنسيون، وتم تجاهل تاريخ الجزائر، والتركيز فقط، كما أسلفنا الذكر، على عظمة فرنسا ومجدها. إن ما نفهمه من المادة الرابعة من هذا القانون، المتعلقة بإجبارية التعليم للجنسين، ذكورا وإناثا ممن يفوق سنهم ست سنوات، أن الإدارة الإستعمارية حريصة كل الحرص على توفير مقاعد دراسة لكل الجزائريين ممن بلغوا سن التمدرس القانونية، ولكن الواقع يؤكد أن الجزائريين، حتى ولو أقبلوا على هذه المدارس ، و اقتنعوا بأهميتها ،فإنهم لن يجدوا أماكن تنتظرهم .و في هذا الإطار يؤكد محمد العربي الزيري أن كل الأطفال الفرنسيين في سن الدراسة كانوا يقبلون في المدارس، ويدرسون المناهج المطبقة في فرنسا ذاتها، أما الأطفال الجزائريون، فيخصص لهم مقعد واحد لكل خمس ذكور، ومقعد واحد لكل 46 فتاة ، أي 07 % فقط لهم فرصة الدراسة، بالإضافة إلى من يعجزون عن مواصلة دراستهم بسبب الفقر. 14

وإذا أضفنا إلى هذا التضيق على تعليم الجزائريين في هذه المدارس، ظاهرة تشديد الرقابة على التعليم الإسلامي في الزوايا والمساجد والكتاتيب، نتيقن من الهدف الذي كانت الإدارة الإستعمارية تسعى إلى تحقيقه ،وهو تحويل الجزائريين إلى أميين، ويزول إستغرابنا في ظل هذا الواقع، إذا عرفنا أن نسبة الأمية مع مطلع القرن 20م فاقت 20% في صفوف الأهالي .

وحتى في هذه الظروف الصعبة التي ميزت تمدرس أبناء الجزائريين، سجلنا إستياء المستوطنين من جديد ومعهم شيوخ البلديات من هذا النظام التربوي ، وأعلنوا رفضهم لبناء مدارس لمن سموهم (جماهير الصعاليك) من الأهالي، وعللوا ذلك بكثرة التكاليف، وسعي الأهالي لتحقيق الجزائر العربية. 15

في فاتح فبراير 1885م صدر مرسوم لإنشاء ما يسمى بالمدارس الرئيسية والمدارس التحضيرية، ودعم بمرسوم آخر في 30 أكتوبر 1886م ، والذي صنف المدرسة الابتدائية إلى أصناف هي : 16

- المدارس التحضيرية وأقسام الطفولة - المدارس الابتدائية الرئيسية - مدارس التكوين المهني وكل هذه الأصناف لها نفس الهدف: إدماجي لتكريس الذوبان التام في الكيان الفرنسي واستغلالي لإبقاء الجزائريين في خدمة المعمرين، بتوفير اليد العاملة في شتى الحرف

التي يحتاجون إليها، عن طريق مؤسسات التعليم المهني التي أنشأها الإستعمار في العديد من المناطق، والتي سنشير إليها بالتفصيل رفقة المدارس الرسمية لاحقا.

وهذه المؤسسات كانت تستقبل التلاميذ الذين يتراوح سنهم بين 15 و 16 سنة ، بينما يتراوح سن التمدرس في المدارس الابتدائية بين 06 و 12 و 13 سنة ، وبعد هذه السن يعودون إلى ذويهم لمساعدتهم في أعمالهم، لأنه نادرا ما يتجاوز الطفل الجزائري المدرسة الابتدائية ويستمر في دراسته في المستويات العليا، وللتوضيح أكثر، نورد أمثلة عن نتائج تدرس التلاميذ الجزائريين في التعليم الابتدائي في بعض المقاطعات التي اختزناها من الغرب الجزائري إلى غاية سنة الجزائري إلى غاية سنة 1896م . 17

مازونة: من 105 تلميذا أنخوا دراستهم بالمدرسة منذ تأسيسها، كانت النتيجة كما يلي:

- 47 فلاحا (بستاني، عامل يومي، خماس).

- 36 راعي حيوانات

- 03 عمال مقاهي

- 09 تجار

- 07 قناصة (جنود)، ثلاثة منهم ضباط صف

- 03 معلمين

تلميذا أكملوا دراستهم الابتدائية كانت النتيجة كما يلي: مستغانم: من 236 تلميذا أكملوا دراستهم الابتدائية كانت النتيجة كما يلي:

- 133 فلاحيا

- 31 راعي حيوانات

- 29 قناصا أو صبايحيا منهم 07 ضباط صف

- 39 قاضيا إسلاميا

- 04 معلمين

وحتى نعطي لمحة واضحة حول تطور قضية التعليم الفرنسي، إرتأينا إعطاء بطاقة موجزة حول أهم المؤسسات التي أنشئت في الجزائر، والتي ظهر فيها ما يسمى بالتعليم اللاتكي.

3- المدارس الفرنسية في الجزائر منذ عام 1830م :

3-1 مدارس اقليم الجزائر : 18

مدرسة الجزائر للذكور:

ظهرت في 1836/10/10م باسم إعدادية الذكور، كانت تقدم دروسا في اللغة العربية من طرف لويس برينيي Louis Bresnier تحولت هذه الإعدادية إلى ثانوية في أكتوبر 1848م أخذت إسم ثانوية بيجو فيما بعد سنة 1857م ، كانت تابعة لوزارة الحرب إلى غاية سنة 1871م ، حيث تحولت إلى ثانوية الجزائر، وأشرف على تسييرها نيقولا بيرون (Nicolas perron) من 1857 إلى 1863م ، وطاقمها التربوي كان يتكون من ثلاثة أساتذة هم: أوغست فرانسوا ماكويل، جاك ليرون، وأوجين فايسات، وأنشئ بها قسم للغة العربية سنة 1863م كان يشرف عليه إلى غاية 1867م ، أوكتاف هوداس.

- ثانوية البنات لمدينة الجزائر : دشنت سنة 1903م وأخذت سنة 1941م إسم: ثانوية ديكارت وبعد الاستقلال سميت: ثانوية عمر راسم. أشرفت على إدارتها كل من:

- جان ديرايو (Jeanne Desrayaux) من 1911م إلى 1914م

- حليلة عابد 1929م

- السيدة ديراند Mme Durand سنة 1941م

- أليس بارمونتيه Alice Parmentier من 1941م إلى 1943م

- أليس بارمونتيه 1947م إلى 1953م

- الثانوية الفرنسية الاسلامية للبنات بمدينة الجزائر : اسست سنة 1956م في مكان مدرسة الجزائر Medersa d'Alger ، ثم تحولت إلى القبة، وهي تحمل حاليا إسم: ثانوية حسيبة بن بوعلي، أشرفت على إدارتها عام 1960م ، حليلة بن عابد زوجة عاشور.

- مدرسة تكوين المعلمين بمقاطعة الجزائر : (Ecole normale d'instituteurs du département d'Alger)

تم افتتاحها سنة 1856م بضاحية مصطفى العليا ، مع ملحقة تطبيقية لا تضم سوى أقسام فرنسية ، ضمت الدفعة الأولى في السنة الأولى: 10 طلبة منهم ثلاثة مسلمين، ومنذ سنة 1882م ، تم تخصيص حصص لتكوين معلمين من الأهالي، بعد خضوعهم لمسابقة خاصة إلى غاية سنة 1928م ، وبعد حدوث إنزلاق أرضي، حولت المدرسة في سنة 1888م ، إلى بوزريعة ، والدراسة كانت تتم فيها في ثلاث سنوات . وفي سنة 1891م ، أضيفت السنة الرابعة لتكوين معلمين في الفرنسية لتدريس الأهالي .

مدرسة تكوين المعلمات بمقاطعة الجزائر : (Ecole normale d'institutrices du département d'Alger)

أفتتحت في سنة 1876م بمليانة ، ولم تكن تضم اية مسلمة ، ثم نقلت عام 1946م من مليانة الى بن عكنون في مدينة الجزائر قرب ثانوية الذكور .

مدارس مدينة البليدة : تم افتتاحها سنة 1879م، و في سنة 1942م تحولت الى ثانوية باسم ثانوية ديفرييه (Duveyrier و بعد الاستقلال أخذت اسم " ابن رشد "

اعدادية البنات : افتتحت سنة 1925م ، ثم تحولت الى ثانوية باسم ثانوية جون دي لافونتان (Jean de la Fontaine و بعد الاستقلال أخذت اسم " الفتح "

مدرسة مدينة بوفاريك : وهي عبارة عن إعدادية للذكور تحولت فيما بعد إلى ثانوية، وهي تحمل حاليا إسم (ثانوية ابن تومرت)

مدرسة مدينة المدية : تأسست سنة 1879م ، و في سنة 1942م أخذت اسم : اعدادية محمد بن شنب

مدرسة مدينة مليانة : تأسست سنة 1878م

مدرسة مدينة تيزي وزو : كانت خاصة بالذكور ، ظهرت سنة 1943م

2-3 مدارس اقليم قسنطينة 19: من ابرز مدارسها :

مدرسة قسنطينة :

تم إفتتاحها قرب مسجد سيدي الكتاني سنة 1851م ، كان يشرف على إدارتها: الشاذلي بن عيسى ، وفي عام 1884م تم تعيين سعيد بن داود لتدريس القواعد واللغة العربية، محمود بن شاذلي لتدريس الفقه ولويس أريب لتدريس اللغة الفرنسية، والمترجم العسكري قسطنطين صوناك (Constantin Sonneck) (1882-1888) لتدريس الجبر و التاريخ و الجغرافيا ، لما توفي بن شاذلي خلفه أدولف دوكلصاتي (1888م-1907م) موتيلنسكي ، ومن أبرز من درسوا بها في هذه الفترة منذ تأسيسها إلى غاية بداية القرن 20م .

-روميو : (Roumieux) للغة الفرنسية و كان راتبه 1000 فرنك.

العموشي :لمراجعة دروس الفرنسية، وصل راتبه إلى 500 - فرنك

- موتيلنسكي :لتدريس الفرنسية، التاريخ، الجغرافيا والجبر.

- محمود بن شاذلي: لتدريس العلوم الإسلامية، براتب قدره - 3000 فرنك

- المجاوي: لتدريس اللغة العربية براتب قدره - 2200 فرنك.

- لويس أريب: لتدريس التنظيم الإداري. -

وفي نهاية القرن 19 م عين أساتذة آخرون منهم: ابن الموهوب، شارل سان كالبر، وأنطوان فرانسوا بيرري (Antoine François Perrier) وبعد وفاة موتيلنسكي عام 1907 م عين شارل سان كالبر مديرا لهذه المدرسة إلى غاية سنة 1914 م.

وفي ماي 1914 م خلفه على رأس الإدارة ألفريد دورنون (Alfred Dournon) إلى غاية 1938، وكانت المدرسة تكون 50 طالبا. أما في ديسمبر 1938 م وبعد إحالة دورنون على التقاعد، عين موريس فوندين هيدن مديرا إلى غاية 1950 م أين تحولت هذه المدرسة إلى

ثانوية فرنسية إسلامية، وبعد الإستقلال أخذت اسم ثانوية حيحي المكي.

إعدادية بلدية قسنطينة - :

تم إنفتاحها سنة 1858 م في وسط المدينة، أشرف على إدارتها جاك أوغست شاربونو إلى غاية سنة 1863 م، ثم خلفه غوستاف ريشي (1863 - 1870 م) وكانت هذه الإعدادية بدورها تقدم حصصا في اللغة العربية، وفي سنة 1867 م دعمت هذه الإعدادية بفتح إعدادية أخرى أخذت إسم: الإعدادية العربية الفرنسية والتي نقل إليها قسم من تلاميذ-

الإعدادية الأولى. كان يدير هذه الإعدادية ضابط عسكري هو مكسيميليان أوبلين إلى غاية سنة 1870 م، ثم خلفه إميل نيراند 1871 م، خصص بها قسم للغة العربية تحت إشراف لويس ماکويل، تحولت إلى ثانوية عام 1876 م.

ثانوية البنات - :

تم افتتاحها سنة 1911 م أمام المدرسة الجديدة، وفي 1942 م أخذت اسم ثانوية لافران (Lycée Laveran) وبعد الإستقلال أصبحت تعرف بثانوية الحرية.

مدرسة تكوين المعلمين :

تم إنشاؤها سنة 1878 م، وكانت تضم تلاميذ من الأهالي بعد خضوعهم لمسابقة خاصة، كانت تخصص حصصا للغة العربية، كان يديرها محمد مجدوب بن قلفاط إلى غاية سنة 1921 م، ثم أشرف على إدارتها بعده بول رايبولت (Paul Raimbault) إلى غاية سنة 1937 م ثم حاييم أبولكير حتى سنة 1953 م.

مدرسة باتنة: وهي المدرسة الابتدائية التي أفتتحت سنة 1929 م، وتحولت بعد ذلك إلى إعدادية، عين مديرا لها في البداية جوزيف تكاوان.

إعدادية عنابة: أنشئت في عام 1873 م ثم تحولت إلى ثانوية باسم: سان أوغسطين سنة 1942 م.

إعدادية بجاية: تم إنشاؤها عام 1928 م.

إعدادية فيليب فيل (سكيدة حاليا):

كانت إعدادية للذكور، أنشئت سنة 1880 م، ثم أصبحت ثانوية منذ سنة 1887 م وأخذت إسم: ثانوية دومينيك لوسيان.

اعدادية سطيف :

أنشئت عام 1873 م، أصبحت خاصة بالمستوطنين فقط منذ عام 1924 م، وفي سنة 1942 م أخذت اسم أوجين ألبارتي، ليتحول إسمها بعد الإستقلال إلى ثانوية أحمد القيرواني.

3-3 مدارس اقليم وهران 20 :

إعدادية وهران : أنشئت هذه الإعدادية سنة 1846 م وتحولت إلى ثانوية سنة 1887 م وأخذت إسم لاموريسيير سنة 1942 م، وحاليا تعرف بثانوية باستور . كل أساتذتها كانوا أوريين إلى غاية سنة 1906 م أين عين بها جزائريون منهم : محمد بن عبد الرحمن (1906م-1937م) - يوسف بلحيرة (1911م-1912 م)، أحمد العيمش (1912م-1913 م)، بلقاسم تجيني (1937 - 1938 م)، عبد القادر محداد (1926 - 1946 م) ثم (1947 - 1956 م)، ثم (1960 - 1961 م)، الشيخ بوعمران (1957-1959م) طاهر زيتوني (1959-1960م)، بن علي صغير (1959-1960م) ثم يحي صماش (1960-1961م).

-الثانوية الصغيرة : (Petit lycée) أنشئت عام 1922 م.

إعدادية البنات : أنشئت عام 1909 م، تحولت إلى ثانوية ستيفان غزال عام 1942 م، وهي تعرف حاليا بثانوية " الحياة" مدرسة تكوين المعلمين : أنشئت عام 1933 م.
مدرسة تكوين المعلمات : أنشئت عام 1909 م.
إعدادية تلمسان : أنشئت عام 1902 م، وخصص فيها قسم للغة العربية، في عام 1942 م أخذت إسم " دوصلان-De) Slane) .

إعدادية الذكور بمعسكر : أنشئت سنة 1927 م تعاقب على إدارتها كل من:

- بيار كونيون (Pierre Counillon) (1927 - 1928 م)
- هنريات تبول (Henriette Teboul) (1929 م) رتبته الأصلية: أستاذ.
- سفير البودالي: 1939-1940 م (رتبته الأصلية: معلم منتدب)
- أحمد بوشياخي 1956-1961 م (رتبته الأصلية: معلم منتدب).
- عبد القادر قرمالة 1958 م (مدرس منتدب)
- مدرسة البنات بمعسكر : أنشئت عام 1919 م، من أبرز أساتذتها:
- يمينة لعراب : مدرسة آداب ولغة عربية (1919 - 1939 م)
- السيدة بواكس (Mme Boex) : معلمة منتدبة (1939 - 1940 م).
- السيدة أبركان 1950 م
- أحمد بوشياخي 1951 - 1956 م.

إعدادية مستغانم : تم إفتتاحها سنة 1879 م، تحولت إلى ثانوية باسم روني باسي (René Basset) سنة 1942 م وهي تعرف الآن بثانوية زروقي . أول مدير أشرف عليها هو :

- ألبارديستري (Albert Destrées) 1979-1984 م، ثم مونويار (Menouiard) إلى غاية 1887م، ثم هيلار إينوري (1902 - 1896) (Hilaire Ignoret) ثم:
- دوكان 1911م. (Doukan)
- موريس بن شمول (Maurice Benchemoul) - (1911م-1915م)
- عبد القادر محداد 1922 م.
- ألبار قاتو (Albert Gateau) (1926 م 1927م)
- فرناند ريف (Fernand Riv) - (1928 م 1932 م)

- أحمد طاهر (1939 - م 1944 م)

مدرسة الذكور بمسغانم: أنشئت عام 1913 م، كان أحمد طاهر يشرف على إدارتها أيضا بين 1943 م و 1944 م.
مدرسة الإناث بمسغانم: أنشئت بدورها عام 1913 م أشرف على إدارتها مورييس بن شمول (1913 م 1915 م) ثم الأنسة غريغوار سنة 1927 م، ثم السيدة بودان (1927 - 1956 م).

اعدادية سيدي بلعباس: تم إفتتاحها عام 1922 م، وفي عام 1942 م أصبحت ثانوية بإسم لايرين (La Perrine) أشرف عليها، لويز لا بوتييار (1922-1923 م) ثم :أوجين ريشار (Eugène Richert) (1928-1929 م) ثم :عبد القادر عزة 1929 م، ثم :شاسان (Chassaing) (1930-1938)، ثم سفير البودالي 1939 م، ثم :أحمد بوشياخي من جانفي 1943 م إلى نهاية 1951 م.

مدرسة الذكور بسيدي بلعباس: ظهرت سنة 1919 م، عينت مديرة لها :جان بال (Jeanne Bel)

ثم :بيير كونيون (1923 - 1927 م) وبعده :جون مارسيل (Jean Marcel)

ثم مارفان قازينيه (Marfaing Gasinier) إلى غاية سنة 1941 م.

مدرسة الإناث بسيدي بلعباس: تم إفتتاحها سنة 1914 م، أشرفت عليها في بداية إنشائها الأنسة فوقنهايم ثم جان بال (1919 م 1920 م) التي أصبحت تشرف على المدرستين في وقت واحد (مدرسة الذكور ومدرسة الإناث).

ورغم هذا الكم الهائل من المدارس ومؤسسات التكوين المهني فإن حظ الجزائريين منها كان قليلا، ولم يتجاوز عدد التلاميذ المتدربين بها إلى غاية سنة 1890 م نسبة 1,9% من مجموع الأطفال في سن الدراسة ، ونفس الشيء بالنسبة للمرحلة الثانوية التي لم يزد تلاميذها قبل سنة 1900 م عن 84 تلميذا . 21

أما مع حلول القرن 20 فقد ازداد التضيق على تعليم الجزائريين في المدارس الفرنسية بضغط من المعمرين، ومقاومة تدريس اللغة العربية والضغط على أصحابها بواسطة إصدار القوانين .

4-القوانين و المؤتمرات الاستعمارية المتعلقة بالتعليم- :

4-1 قانون 24 ديسمبر 1904 م، وشروط فتح المدارس الإسلامية:

أمام الضغط الاستعماري المتواصل على تدرس أبناء الجزائريين، رأى الجزائريون ضرورة التكفل بقضية التعليم بأنفسهم، دون انتظار ما تجود به السلطات الإستعمارية، فظهر ما يسمى بالتعليم الحر، والذي يعتبر بدوره حلقة من حلقات النضال ضد الاستعمار، وسياسة التحجيل التي يمارسها ضد الشعب الجزائري .ووعيا فيه بخطورة هذا التعليم الإسلامي على مخططاته، لجأ الإستعمار إلى إفشاله وضره في المهدي، فأصدر هذا القانون الذي يمنع كل جزائري من فتح مدرسة خاصة لتعليم اللغة العربية وبقية العلوم الإسلامية دون رخصة من عامل العمالة أو الضباط العسكريين في المناطق العسكرية، وقد أخضع منح هذه الرخصة لمجموعة من الشروط هي:

- أن يقتصر تعليمه على تحفيظ القرآن دون غيره .

- ألا يقوم بشرح آياته، وخاصة التي تتحدث عن الجهاد .

- ألا يدرس تاريخ الجزائر وجغرافيتها، وتاريخ وجغرافية العالم العربي والإسلامي .

- أن يكون مخلصا للإدارة الإستعمارية، ويخضع لأوامرها مهما كان شأنها.

يحظر على هذه المدارس بعد فتحها أن تستقبل الأولاد الذين هم في سن الدراسة أثناء ساعات التعليم في المدارس الفرنسية . 22.
ويضيف هذا القانون تحذيرات للمخالفين لهذه الشروط بغية دفعهم إلى التمسك بها، ويتحقق بذلك هدف الاستعمار، ومن هذه التحذيرات :يجوز لنفس السلطة أن تسحب رخصة التعليم لأجل معين أو نائيا من المعلمين الذين يرتكبون مخالفات ، من شأنها

أن تمس بحسن السلوك والأخلاق، كما يجوز لها أن تأمر بإغلاق هذه المدارس بصورة تأديبية. 23 فالاستعمار الذي وضع ضمن مخططاته تجهيل الشعب الجزائري، وقطع الصلة بينه وبين أصالته، دعمه المعمرون بدورهم بمطالبهم المستمرة بإبعاد الجزائريين عن كل ما من شأنه إنارة عقولهم، وتنمية أفكارهم وإبقائهم عبيدا في أيديهم، ولجأوا هذه المرة إلى عقد مؤتمر للضغط على حكومتهم لتنفيذ مخططاتهم، وجاء هذا المؤتمر بعد أربع سنوات فقط من إصدار القانون المذكور آنفا.

4-2 مؤتمر الكولون 21 / 03 / 1908 م:

لاحظ المعمرون أن التعليم الابتدائي يشكل خطرا كبيرا على مصالحهم الإقتصادية، لحمايتهم من اليد العاملة الرخيصة الأمية والقدرة على القيام بكل الأعمال الصعبة ، وأمام إقرار الإدارة الإستعمارية إلزامية التعليم لأبناء الأهالي ، سارع المعمرون إلى عرقلة هذا التعليم، وقرروا توحيد الجهود. لذلك دعا "الحزب الإستعماري (Le parti colonial) "الذي كان يضم منتخبين في شتى

المجالس، ومثقفين ورجال أعمال، وأعيان أوروبيي الجزائر، وكلهم من غلاة الإستيطان والإستغلال، إلى عقد مؤتمر لمناقشة قضية تعليم أبناء الأهالي، وقد انعقد هذا المؤتمر في الجزائر العاصمة بتاريخ 21 مارس 1908 م.

لاحظ المؤتمر أن تعليم الأهالي إذا طبق فعلا سيكون نكسة على السكان الأوروبيين ومستقبل الوجود الفرنسي بالجزائر، ولذلك طالب المؤتمر في النهاية بمايلي:

-إلغاء التعليم الابتدائي للأهالي

-خصيص القروض للتعليم الفلاحي التطبيقي، وتعيين معلمين فرنسيين للإشراف عليه. .

-وهذه التوصيات إعتبرها مدير التعليم الفرنسي بالجزائر جومار (Jeanmaire) ضربة لمشروعه الخاص بالمدارس الأهلية، وقدم

إستقالته يوم 05-11-1908م خاصة لما نعت المعمرون هذه المدارس باسم المدارس الأكواخ.(écoles gourbis) 24

وكان من نتائج هذا التضيق على تعليم الجزائريين في هذه الفترة أن إنخفضت نسبتهم كثيرا في المدارس الفرنسية ، والإحصائيات التالية توضح ذلك:

1914م: 47263 تلميذا بنسبة 5% من بين 800 ألف طفل متمدرس.

1922م: 60644 تلميذا بنسبة 6% من بين 900 ألف طفل متمدرس. 25

أما في المرحلة الثانوية فلم يزد عدد التلاميذ بين سنتي 1900 م و 1914 م عن 150 تلميذا.

وفي التعليم العالي، لم يتجاوز المتخرجون من جامعة الجزائر 34 طالبا يحملون البكالوريا سنة 1914 م. 26

لهذا السبب بادر الجزائريون بعد الحرب العالمية الأولى إلى النضال من أجل إصلاح وضعية التعليم وتمكين الجزائريين من مقاعد دراسية، والمطالبة برخص لفتح المدارس لتعليم أبنائهم، واهتموا بإنشاء هذه المؤسسات التعليمية، وإنعاش الزوايا من جديد في القرى

والمدن، للعودة لممارسة نشاطها في تقديم تعليم عربي إسلامي، يصون هويتهم وشخصيتهم ويحافظ على دينهم ولغتهم، وقد نادى بهذه المطالب بالخصوص بعد الحرب الأمير خالد ثم العلامة عبد الحميد بن باديس.

أمام تبلور فكرة تعليم عربي حر منذ العشرينات من القرن 20 م عادت فرنسا من جديد لتضيق الخناق على التعليم العربي بقراراتها وقوانينها، وهذه المرة أصدرت قانونا أعتبر أخطر قانون في عرقلة التعليم العربي وهو قانون شوطان 1938 م.

4-3 قانون شوطان (Chautemps) 08/03/1938م:

هو قانون أصدره رئيس الحكومة الفرنسية شوطان في 08 مارس 1938م ، والذي يمنع تعليم اللغة العربية في المدارس والمساجد على أساس أن اللغة العربية لغة أجنبية 27 ، وهو الذي وقفت له جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، كما وقف له حزب الشعب بالمرصاد مذكرين شوطان بمن الأجنبي: الفرنسي الذي أتى بلغته الفرنسية من وراء البحار، أم الجزائري العربي المسلم الذي وجدت معه لغته العربية في أرضه التي اعتبرها الإستعمار أجنبية عنها.

خاتمة:

كان التعليم الاستعماري مجحفا في حق الجزائريين الذين لم يجدوا بدا من النضال المستمر لتمكين أبنائهم من مقاعد دراسية، واهتموا بإنشاء المؤسسات التعليمية الحرة ، وانهاش الزوايا في القرى والمدن، للحصول على تعليم عربي اسلامي يصون هويتهم وشخصيتهم، ويحافظ على دينهم ولغتهم، رغم التضيق الكبير الذي تعرضت له مسألة التعليم العربي، ويظهر جليا من خلال القوانين والمخططات الاستعمارية أن التعليم (العصري) انما كان سلاحا لاختضاع الجزائريين وليس وسيلة لترقيتهم وتطورهم وتمدهم- كما زعمت الادارة الاستعمارية منذ احتلالها للجزائر.

الهوامش:

- 1-رحوي اسيا بلحسين، وضعية التعليم الجزائري غداة الاحتلال الفرنسي، مجلة دراسات نفسية و تربوية، العدد 07، ديسمبر 2011م، مخبر تطور الممارسات النفسية و التربوية، جامعة مولود معمري-تيزي وزو، ص59
- 2-شهبي عبد العزيز، الزوايا الصوفية و العزابة والاحتلال الفرنسي في الجزائر ، وهران، دار الغرب للنشر والتوزيع، 2007م ص 44 .
- 3-اجرون شارل رويبر، الجزائريون المسلمون وفرنسا 1871-1919م، ج 1، تر: محمد حاج مسعود، الجزائر، دار الرائد للكتاب 2007م، ص 582.
- 4-قنان جمال، التعليم الاهلي في الجزائر في عهد الاستعمار (1830-1944م) طبعة خاصة، الجزائر، دار هومة 2007م، ص 13 .
- 5-رحوي آسيا بلحسين، م.س، ص 62.
- 6-Paul Bernard, les écoles indigènes devant l'opinion publique, Adolphe Jourdan, Alger, 1897 p 14.
- 7-أجرون شارل رويبر، م.س، ص 35.
- 8-اجرون شارل رويبر، نفسه، ص582.
- 9-بوتليليس مراد، تطور التعليم في الجزائر من 1830م الى 2001م مذكرة لنيل شهادة الماجستير في الديمغرافيا الاقتصادية والاجتماعية، كلية العلوم الاجتماعية، قسم الديمغرافيا ، جامعة وهران، 2014م ، ص 52.
- 10-توران ايفون، المواجهات الثقافية في الجزائر المستعمرة ، المدارس والممارسات الطبية والدين 1830-1880م ، الجزائر، دار القصبه للنشر، 2007، ص80.
- 11-P. Bernard, opcit, p 06.
- 12-P. Bernard, ibid, p17.
- 13-رحوي آسيا بلحسين، م.س، ص 64.
- 14-الزيري محمد العربي، تاريخ الجزائر المعاصر، ج1، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، سوريا، 1999 م، ص
- 15-محجي بوعزيز، التسلط الاستعماري و الحركة الوطنية الجزائرية 1830-1954م، الجزائر، دار البصائر للنشر و التوزيع، 2009، ص 43.
- 16-رحوي آسيا بلحسين، م.س، ص 65.
- 17-P. Bernard, opcit, p 24.
- 18-Messaoudi Alain, les arabisants et la France, Paris, E.n.s – éditions, pp 18-23.

19-Messaoudi Alain, ibid, pp 23-28.

20-ibid, pp 28-35.

21-يجي بوعزيز، م.س، ص 43.

22-يجي بوعزيز، نفسه، ص 60.

23-فضلاء محمد لحسن ، المسيرة الرائدة للتعليم العربي الحر بالجزائر، ط1، الجزائر، دار الامة للطباعة و النشر والتوزيع، 1999م، ص 18.

24-Cervera Suzanne, une approche des mentalités coloniales et indigénophiles en Algérie à la veille de la guerre de 1914-1918 à travers un discours de distribution des prix, s.d, p 07.

25-يجي بوعزيز، م.س، ص 43.

26-يجي بوعزيز، نفسه، نفس الصفحة.

27-فضلاء محمد لحسن، م.س، ص 18، ينظر أيضا يجي بوعزيز، م.س، ص 61.

Résumé :

L'enseignement colonial était un moyen très important pour subjuguer les peuples colonisés, et c'était complémentaire à l'invasion militaire. Les français étaient très conscients de ce fait , ainsi dès le début ils ont appuyé sur l'établissement d'institutions éducatives coloniales qui commencent à répandre dans la majeure partie de l'Algérie .

Le sens apparent de ces institutions était l'enseignement d'un peuple attardé, alors que le but réel était l'élimination de l'identité nationale , et la réalisation de la domination coloniale.

Nous avons abordé dans cette étude les étapes définies par l'enseignement colonial , et l'attitude française envers l'enseignement arabo-musulman, comme nous avons mentionné les plus importantes institutions éducatives coloniales qu'a connu notre pays depuis 1830, et la question des restrictions imposées à l'enseignement des algériens à travers les lois et les conférences organisées à cet effet.